

وَقُلْ أَعْمَلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا كَرِهَتْ أَعْيُنُهُمْ وَالرِّسَالَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ

وقل اعملوا

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2021-11-15

عمان

الأردن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا الْأَمِينِ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا، وَارْزُقْنَا تَابِعًا، وَارْزُقْنَا بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنّات القُرْبَاتِ.

مطابقة مفايسنا لمقاييس القرآن:

وبعد فيا أيها الأخوة الأكارم، عمومُ الناس يتعارفون علي مقاييس ويتفاضلون بها في الحياة الدنيا، هناك مثلاً من يعتمد مقياس المال، ويقول لك بصريح العبارة: (معك قرش تسوي قرشاً)، هكذا بكل صراحة، وهذا وارد في بعض الآثار (يأتي زمانٌ على الناس قيمة المرء متاعه)، أي بحسب ما يملك، بالمتاع الذي معه وليس هو بذاته.
بعض الناس تعارفوا بقيم النسب، يسألُك من أي قبيلة أنت؟ أو من أي عشيرة أنت؟ ما جدورك؟ يعتمدون قيمة النسب، هذا تسبُّه عال، هذا تسبُّه أقل، يعتمدون قيمة النسب.



عند الله تعالى قيمتان للتفاضل بين الناس
بعض الناس يعتمدون قيمة المنصب، هذا كان وزيراً، وهذا كان نائباً في البرلمان، فيجلونه ويقدرّونه، أنزلوا الناس منازلهم، لا يمنع إذا كان للانسان مكانة في المجتمع أن تُنزلهُ منزلته، لكن هل هذه القيمة الوضعية التي تعارف عليها الناس قيم صحيحة للتفاضل بين الناس؟ الجواب لا، لأن الله تعالى في قرآنه الكريم لم يعتمد هذه القيم، لكن ربنا عز وجل اعتمد قيمتين لا ثالث لهما، القيمة الأولى هي قيمة العلم، والقيمة الثانية هي قيمة العمل. قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا بَرِّعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

[سورة المجادلة]

وفي آية ثانية قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ
هُوَ يَبُورٌ (10)

[سورة فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

[سورة الحجرات]

بَطُولُنَا وَفِطْنَتُنَا أَنْ تَأْتِي مَقَابِيصِنَا دَائِمًا مَطَابِقَةً لِمَقَابِيصِ الْقُرْآنِ، لِمَقَابِيصِ الشُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ، أَنْ تَتَفَاعَلَ فِيهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّقْوَى، بِالْعِلْمِ، بِالْعَمَلِ. فنقول: فلان ما شاء الله له عمل صالح،
أناه الله مالا فهو يُففق منه، نُجَله لِعَمَلِهِ لا لِمَالِهِ، لِإِنْفَاقِهِ مِنَ الْمَالِ لا لِقِيَمَةِ ثِرْوَتِهِ، هُنَا يَخْتَلِفُ الْمَقْيَاسُ.
فلا إن آتاه الله عِلْمًا، و لو كان أحيانًا العلم دينيًّا، لكن العلم الدينوي إذا وُطِّفَ في طاعة الله، في خدمة الحق، في إعلاء كلمة المسلمين، في صناعات رائدة، في تجارة جيدة،
وظف عِلْمَهُ في الحق أيضًا يرتفع مقامه.
العلم والعمل لأن كل نشاطات البشر من آدم إلى يوم القيامة لا تكون إلا ضمن العلم أو ضمن العمل، إذا تحركت في الحياة إما أنك تعلم أو أنك تعمل.
العلم يُعطي الجانب الفكري العقلي، المنطلقات النظرية، العمل يُغطي السلوك، فإما عِلْمٌ أو عمل. من هنا قال تعالى في قرآنه الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

[سورة الأنبياء]

لأن أعظم عِلْمٍ تتعلمه هو عِلْمِ التوحيد، لا إله إلا الله، وأعظم عملٍ تعمله هو العبادة (فاعْبُدُونِ).

أعظم عِلْمٍ نتعلمه وأعظم عملٍ نعمله:



العبادات التعاملية أكثر من الشعائرية

الأنبياء كلهم جاؤوا بعلم هو التوحيد وعمل هو العبادة. فإذا استطاع الإنسان أن تكون حركته العلمية تعلم ما ينفعه، وحركته العملية في عبادة الله، نقصد بالعبادة المفهوم العام وليس الصلاة والصيام والزكاة والحج فقط، وإنما أن يتحرك في الحياة لتحقيق مقصود الله تعالى من خلقه، أي تصبح حياته عبادة، إذا ذهب مع أهله في نزهة فهو في عبادة، وفي تجارته في معمله إذا اتقن عمله، وقدم سلعة جيدة للناس، وريح ربحاً حلالاً، وأنفقه في الحلال فهو في عبادة وهكذا. مفهوم العبادة الواسع وليس مفهوم العبادة الضيق الذي يقتصر على العبادات الشعائرية لأن العبادات نوعان: شعائرية وتعاملية. الشعائرية فيما بينك وبين الله، التعاملية فيما بينك وبين الناس، ومعظم العبادات وأكثرها عبادات تعاملية؛ صدق، وأمانة، ومحبة، وخشية، وخوف، ورجاء، فالعبادات التعاملية أكثر من الشعائرية.

الشعائرية مهمة جداً ولا يستقيم إيمان المرء بغيرها. يقول أحدهم: أنا لا أصلي لكن إيماني في القلب، نقول له: كلامك مردود عليك، يجب أن تُصلي، ويكون إيمانك في قلبك. امرأة تقول لك: أنا غير ملتزمة بالحجاب أو بمنهج الله عز وجل لكن أعمالها صالحة، لا نريد هذه و تلك. أي لا بد أن تأتي بالعبادة الشعائرية والتعاملية معاً، فلا الصلاة تغني عن التعامل مع الناس، ولا التعامل مع الناس يغني عن الصلاة، صلة بالله وإحسان للمخلوق.

أصل الرِّفْعَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ:

إذا نحن الآن أمام علم وعمل هذا الذي يرفعك عند الله، إما علمك أو عمالك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا بَرِّعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

[سورة المجادلة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ
أُولَئِكَ هُوَ يُنَوِّرُ (10)

[سورة فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (13)

[سورة الحجرات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)

[سورة فاطر]



الخشية متعلقة بالعلم بالله

أي لن تجد من يخشى الله إلا إذا كان عالماً، عالم فيزياء أو عالم كيمياء؟ لا، هنا العلم المقصود به العلم بالله، أن يعرف الله، لذلك أحياناً تجد جدتي وجدتك التي لا تقرأ ولا تكتب تخشى الله أكثر من إنسان يحمل أعلى شهادة في الشريعة، لأن الخشية متعلقة بالعلم بالله وليس بالعلم التفصيلي، أحياناً نساء كبيرات في السن عندهن خوف من الله لا تجده عند غيرهن، كان سيدنا عمر يقول: (اللهم ارزقنا إيماناً كإيمان العاجز).

وقيل لامرأة: إن فلاناً يملك ألف دليل على وجود الله، قالت: والله لو لم يكن عنده ألف شك لما بحث عن ألف دليل، لا يوجد عندي شك أصلاً حتى أبحث عن الدليل، فأحياناً إيمان كبار العجايز أحسن من إيمان الشباب والمثقفين، فالمقصود بالعلم العلم الذي يُورث الخشية وليس العلم التجريدي النظري، لأن العلم التجريدي النظري قد يصح الفقه والعقيدة والحديث آداب إنسانية تُعلم، وهناك مستشرقون جاؤوا إلى بلادنا وتعلموا الإسلام وهم غير مسلمين، تعلموه ودرسوه وأعجبوا به، لكن لم يُسلموا أصلاً. فالقضية ليست في علوم تتعلمها وإنما في خشيته لله نخشاه، هذا المقصود بالعلم الذي يرفع الله به الناس.

ومع ذلك يتعلم الانسان علوم الشريعة ويتعلم علوم الدنيا، فأيضاً يرفعه الله بها، لكن هي ليست أساسية، أصل الرِّفعة العلم بالله، لمعرفة الله، للخشية من الله، والدليل قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ

انظروا إلى نهاية الآية قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)

[سورة الزمر]

إذاً هذا الذي يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه عالم، لو لم يكن عالماً لما قام خشية من الله، فالعلم يُورث الخشية، هذا المقصد.



العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر

أحبابنا الكرام؛ نقول: إن الرّفعة والمقاييس التي وضعها الله تعالى لعباده هي العلم والعمل، لأن العلم يُورث العمل، بل إننا نقول دائماً: العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر، بل إنه إن عَلِمَ إنسان ولم يعمل بما عَلِمَ كان جهله أولى، لأن الجاهل لم يعرف فما عَمِلَ، أما العالم فعَلِمَ ثم لم يعمل بما عَلِمَ فإثمه أكبر، فلذلك الأصل هو العمل، لذلك لَمَّا يَحْضُرُ الإنسان الوفاة يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

[سورة المؤمنون]

لا يوجد أحد عندما تحضره الوفاة يقول: ربي ارجعوني لعلني أتابع البناء الذي بدأت، ولا يقول: أرجعوني لعلني أتابع التجارة التي تاجرت بها، ينسى كل ذلك، ولكن يقول: أرجعوني لعلني أعمل صالحاً. أحبابنا الكرام، العمل الصالح تكثّر في كتاب الله كثيراً لكن العمل سمي صالحاً لأنه يصلح للعرض إلى الله، أي عمل تعمله إذا أردته صالحاً فانظر، هل يصلح يوم القيامة بأن تعرّضه على الله؟ تقول: يا رب هذا عملي، إذا كان يصلح فعلى العين والرأس وعلى بركة الله، وإذا وجدت أنك تعمل عملاً لا قدر الله لا يصلح العرض على الله فلا تفعله. مثلاً شاب يحب أباه محبة عظيمة جداً، فمن محبته لأبيه إذا عرف أن أباه لا يرضى عن عمله فلا يعمل حتى لا يُغضب والده، والإنسان علاقته مع الله عز وجل علاقة محبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ بَرَزَ مِنْكُمُ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

[سورة المائدة]

فإذا علمت أن عملاً من أعمالك لا يصلح للعرض على الله، أو تخجل به أمام الله فلا تفعله، فالعمل الصالح يصلح للعرض على الله.

شروط العمل الصالح:

1 - الإسلام:

متى يصلح العمل للعرض على الله؟

أولاً: بالإسلام، لأن الله تعالى يقول عَمَّنْ يَعْمَلْ أَعْمَالاً رِيماً صَالِحَةً لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ فِي الْأَصْلِ، أي عقيدته غير سليمة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِبًا وَّوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)

القيعة: هي الصحراء، إذا زار الانسان الصحراء ووقف عن بُعد مع أشعة الشمس يُخَيَّلُ إليه أن هناك ماءً، هذا سراب ليس ماءً، فيركض باتجاهه فعندما يصل يجد رملاً لا يوجد ماء، لكن مع انعكاس أشعة الشمس يُخَيَّلُ إليه أن هناك ماءً، فلما جاءه لم يجد شيئاً، فهذا مثل قرآني عظيم، قال: **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً)** كأنه يتجه نحو الماء **(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِبًا وَّوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ)** هو ظن أنه قدّم أعمالاً، لكن هذه الأعمال قدّمها ليُقال: فلان يُحَسِّن، قدّمها من بيئته، من ثقافته، لأننا نريد أن تطهر للعالم بأننا حضاريون، قدّمها حتى يأخذ إعفاء من الضرائب، قدّمها حتى يأخذ ترخيصاً للبناء، فهو يظنها شيئاً لكن هي كسراب يقية، لكن هي في الحقيقة ليست بشيء، كسراب يقية **(يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً)**.



مع الإسلام والتوحيد ينفع كثيرُ العمل وقليله

إذا أول شيء في العمل الصالح الإسلام، أي مع الإسلام والتوحيد ينفع كثيرُ العمل وقليله، ومن غير دين لا ينفع كثيرُ العمل ولا قليله، وقد يقول قائل: وهل ضاقت رحمة الله عن غير المسلمين؟ لا، الموضوع ليس ضيقاً في رحمة الله أبداً، لكن المشرك مُتَوَجِّه إلى مكان آخر غير المكان الصحيح. سأضرب مثلاً: وهذا المثال سمعته من شيخنا الدكتور راتب حفظه الله، شخص يريد أن يركب في القطار، القطار سينطلق من دمشق باتجاه حمص، له مبلغ يريد أن يقبضه، أثناء ركوبه في القطار تفاجأ أنه ركب في الدرجة الأولى لكن بالخطأ وضعوه في الدرجة الثانية، هو خطأ لكنه خطأ مُعْتَفَر، أي سوف يصل، ركب الدرجة الأولى لن يصلوا قبل الدرجة الثانية، الجميع سيصل معاً بالنهاية، الخطأ مُعْتَفَر، تفاجأ بأنهم قالوا له: في مقصورة القطار يوجد الطعام، فلم يأكل قال: ساكل في القطار، فتفاجأ بأنه لا يوجد طعام في القطار، فأمضى الوقت جائعاً، هذا خطأ ثانٍ ولكن مُعْتَفَر، يصل ويأخذ النقود ويرجع ويحسب للمرة القادمة.

الخطأ الثالث هو أنه لم يُمَيِّز مكان جلوسه فجلس في مقصورة يوجد فيها شباب طائشون طوال الطريق وهم يزعمونهم بأحاديثهم وضحكاتهم وهو يريد أن يرتاح، وهو رجل مُقَدَّر، لكنه خطأ مُعْتَفَر فالقطار في طريقه.

هناك خطأ لو ارتكبه هذا لا يُعْفَر، أنه ركب القطار المُتَّجِه إلى درعا، بعكس الاتجاه تماماً، الدرجة الأولى، والطعام موجود، ولا يوجد شباب مزعجون، ولكن وجهة القطار بالعكس فلم يصل إلى مُبتغاه ولم يقبض المبلغ الذي يريد.

المُشْرِك يمشي بعكس الطريق فليست رحمة الله قاصرة عنه، لكن هو غير مُتَوَجِّه أصلاً إلى الرحمة، هو لا يريد بها، فالذي يقول لك: يا أخي ربنا رحيم، ربنا غفورٌ رحيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِن كُنْتُمْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٍ عَذَابِي بِهِ مِمَّنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ لَا يُغْنَوْنَ وَبُؤُوتُونَ الرَّكَاتَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)

[سورة الأعراف]

الذي يريد بها ساكنها له، والذي لا يريد بها، الذي لا يريد رحمة الله ماذا تصنع له؟

فبالأصل نقصد أن أول شروط العمل لكي يكون العمل محفوظاً عند الله أن يسبقه توحيد، إيمان بالله، وإلا فقد يعطيه الله عز وجل الثواب في الدنيا، ربنا عز وجل ودود شكور لا يتركه من غير ثواب، لكن هو أراد الدنيا فيعطيه الدنيا جل جلاله.

2 - الإخلاص:

الشرط الثاني من شروط العمل الصالح أن يكون خالصاً، وهذا تحدثنا عنه، الإسلام ثم التوحيد أن يكون خالصاً، أي أن تتبغى به وجه الله، فإذا كان العمل صالحاً ولم يتبغ به وجه الله فهو ليس بصالح أصلاً، إذا لم يتبغ به وجه الله تعالى، يجب أن نبتغي بأعمالنا الصالحة وجه الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)

[سورة الإنسان]

جاء الرد الإلهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوْقَاهُمْ اللَّهُ سَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ تَضَرُّعًا وَسُجُودًا (11) وَجَزَّاهُمْ يَمَا صَبَّوْا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12)

[سورة الإنسان]

متى جاء الرد الإلهي؟ بعد أن قالوا: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)، لا أريد شكراً ولا أريد مكافأة، أبدأ، فالإنسان عندما يتجرّد في عمله الصالح وجعله خالصاً لوجه الله لا يتبغى به إلا الله ينجو من الرياء ويكون العمل صالحاً.

3 - الصواب:



الصواب أن يوافق الكتاب والسنة

الشرط الثالث: أن يكون العمل صواباً، صواباً أن يوافق الكتاب والسنة، أي إذا قال لك إنسان: أنا أقمت حفلة دعوت لها الرجال والنساء، والنساء بأهلي زينة، وربما أيضاً يوجد طلبات خمور، وأحضرننا مغنية، لماذا أقمت الحفل؟ أنتبغى به وجه الله، نريد أن نجمع مبلغاً مالياً نقدمه لأسر محتاجة!! هذا العمل ليس صواباً، ولو توهمت أنك تتبغى به وجه الله، هذا العمل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله، ولو جمعت مبلغاً ووزعته، وربما يستفيد منه بعض الناس لكن هذا العمل خلاف للسنة، (دع خيراً عليه الشر يربو) أي لا تقدم على عمل فيه شر من أجل تحصيل خير، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَتَبْتَنَّهُمْ صَاحِبًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

[سورة النمل]

طبعاً كلنا ولله الحمد من أهل القبلة، و كلنا مُوحدون، مخلصون إن شاء الله في أعمالنا، وندقق أيضاً أن يكون العمل موافقاً لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. إنسان مثلاً يتاجر بالرِّبَا أو بالمُحَرَّمَات، ويقول لك: والله أنا أخصص ربع هذه التجارة للفقراء، لا، ليس صحيحاً، بالقوانين الوضعية أو بأعراف بعض الناس تقول: الغاية تُبْرِرُ الوسيلة، في الشريعة لا يوجد الغاية تُبْرِرُ الوسيلة، لا يُتَوَسَّلُ إلى الغايات النبيلة إلا بوسائل من جنسها، ربنا عز وجل غني، غني عن العباد جلَّ جلاله، عزيز، لا يقبل من إنسان أن يعصيه من أجل أن يُطعم عباده، أطعم عباده بالمال الحلال.

{ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا }

[رواه مسلم]

إذا أحببنا الكرام، العمل الصالح أولاً: الإسلام، الإخلاص، الصَّوَاب. هذه الشروط الثلاث يتحقق بها العمل الصالح.

مزايا العمل الصالح:

الآن، لو جئنا إلى الآيات الكريمة التي تتحدث عن العمل الصالح لعلَّق عليها ونعلم بعض مزايا العمل الصالح، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29)

[سورة الرعد]

طوبى هي الجنة، وحسن مآب: المرجع إلى الله.



في القرآن الكريم لا يأتي الإيمان منفرداً

في القرآن الكريم لا يأتي الإيمان منفرداً، غالباً ما يأتي الإيمان مقابلاً للعمل الصالح، آمنوا وعملوا، أي علم وعمل، كما قلنا في البداية الإيمان علم، الإيمان أعظم علم، الإنسان عنده إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله فهذا أعظم علم تعلمه، لأن الإيمان تصديق، والتصديق يحصل بناءً على العلم، فعملياً الإيمان هو العلم، وعملوا، إيمان سكوني لا يوجد، الإيمان يُعبّر عن نفسه بحركة إيجابية نحو الخلق، (آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وليس عملوا مطلقاً، عملوا الصالحات وفق شروط العمل الصالح الذي تكلمنا عنه قبل قليل.

الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)

[سورة الكهف]

(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) أي إنسان يعمل عملاً يخشى أن يضيع أجره، كيف ذلك؟

إذا دخلت في تجارة، ما أجر التجارة؟ الربح، أجر التجارة الربح، أنا تعبت، في هذه الصفقة ثلاثة أشهر أمضيتها من سفر إلى سفر حتى أنجزت هذه التجارة، فإذا لم أربح فقد ضاع أجر العمل.

يُطمئنك الله تعالى، هذه طمأنة من الله، أنت إذا آمنت ثم عملت الصالحات فالله لا يضيع لك الأجر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)

[سورة النساء]

أجرك محفوظ، أي كل عمل تقوم به في الدنيا لا تثق بنتائجه، مهما كانت التجارة رائجة، أتى فيروس اسمه كورونا صغير أغلق المعمل لمدة شهرين، تهبط كل الأرباح، الخيارات ضعيفة، قيل: عَرَفْتُ اللَّهَ مِنْ تَقْصُصِ الْعَزَائِمِ، تبني مشروعاً، تسافر وترجع، ويأتي أضعف فيروس غير الكورونا مثلاً الرشح فيلغى السفر، ويُلغى المشروع، فرينا عز وجل يَنْقُصُ الْعَزَائِمَ أَحْيَانًا، طبعاً لحكمة تعلمها الله.

عَرَفْتُ اللَّهَ مِنْ تَقْصُصِ الْعَزَائِمِ، لكن ربنا عز وجل يطمئنك **(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)** فقط اطمئن.

الحياة الطيبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

[سورة النحل]

انظروا إلى هاتين العاقبتين العظيمتين، **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)** هنا عكسها، **(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** أما هنا **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ)** واشترط الإيمان من جديد للتأكيد عليها **(وَهُوَ مُؤْمِنٌ)** مؤمن بثواب الله، يعمل من أجل الله، عنده إيمان.



الحياة الطيبة هي الرضا عن الله

قال: **(فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً)** أي أنت تحيا في هذه الدنيا حياة طيبة، مثلاً يقول إنسان: عملت صالحاً ولم أحي حياة طيبة؟! هل فهمت أولاً ما معنى الحياة الطيبة؟ يقول لك: مثلاً يكون لدي أموال كثيرة وعقارات كثيرة، لا ليس كذلك، الحياة الطيبة هي الرضا عن الله، الحياة الطيبة هي السكنينة التي في القلب، التي من ملكها ما فاته شيء، والتي من فقدها لم يأخذ من الدنيا شيئاً.

والله هناك أناس عندهم من متاع الدنيا ما عندهم، لكن لا يجدون السعادة ، ولا السرور، ولا الخُبور، وهذا مُشاهد، واقع.
والله أحياناً تجلس مع إنسانٍ من كبار التجار، ومن كبار من فتح الله عليهم في الدنيا، ثم إذا حدَّثته قليلاً قال لك: هذه الدنيا خراب، ويوجد ضيق في قلبي، ومنزعج من الدنيا، وتجلس أحياناً مع إنسان دخله بالكاد يكفيه، يعيش حالة كفاف، وبالرضا عن الله، وبالسرور بالله عز وجل، وبالسكينة التي في قلبه، يحيا الحياة الطيبة.
فالحياة الطيبة ليس لها علاقة بما يملكه الإنسان وإنما بما ترضى به نفسه، فإذا رضي تكون الحياة الطيبة، يكفي أنه يصلي لله خمس صلوات في اليوم، يكفي أنه قد توافق مع فطرته وتصالح معها، فلا يغش الناس، ولا يخونهم، ولا يُعادِيهم، ولا يحمل في قلبه غلاً وحقدًا للمؤمنين، يكفي هذه الأمور لتحبيه حياة طيبة.
بالمقابل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)

[سورة طه]

ولم يقل: حياة ضنكاً، يعيش لكنه لا يحيا، هناك حياة وهناك معيشة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

[سورة الأنفال]

أَمَّا (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) يعيش لكن ليس هناك حياة في القلب، يعيش ويأكل ويشرب لكن لا حياة في القلب.

مجازاة الله عز وجل كل إنسان بأحسن عمل عنده:

تنمة الآية قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

[سورة النحل]

انظروا إلى هذا المعنى الجميل، تخيل أنك في الجامعة، نظام الجامعة كما يلي: لديك عشر مواد يجب تقديمهم آخر السنة، عشر مواد، والمادة التي تحصل بها أعلى علامة يحددون لك المعدل بها، لا يجمعونهم ولا يقسمونهم على عشر، العلامة من مئة وأنت حصلت على 70، 60، 50، 40، 30، 90، 95، 98، سيقول لك: معدلك هو 98، هل هنالك جامعة تفعل ذلك؟ مستحيل.

ربنا عز وجل هكذا يحاسبنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

[سورة النحل]

يُجازيك الله بأحسن عمل عندك، ويختار لك أحسن أعمالك التي فيها أعظم إخلاص، وأعظم صواب، وأكثر دفع، ويقول لك: هذا السقف لديك، هذا هو الحساب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

[سورة النحل]

أي لا يوجد خسارة مع ربنا عز وجل، راجع مع ربنا، مع البشر تخسر وتربح، مع ربنا الريح أكيد، لأن أجرك بأحسن ما كانوا يعملون.

نتائج العمل الصالح:

ثم يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76)

[سورة مريم]

الباقيات الصالحات هنا بأرجح الأقوال وأعمّ الأقوال هي العمل الصالح الذي يبقى، لماذا سمّاها الباقيات الصالحات؟ لأنها أعمال باقية، تبقى، أما إذا عملت عملاً للدنيا فإنه ينتهي بالموت، أما العمل للأخرة فيبقى بعده، فهو باقيات صالحات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (7)

[سورة العنكبوت]

أي العمل الصالح يُكفّر السيئات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسِعًا (96)

[سورة مريم]

وَدًّا فيما بينهم وودًّا بينهم وبينه جلّ جلاله، فَلَكَ وَدٌّ مع الله وودٌّ مع أخوانك في الله. هذه نتائج العمل الصالح.

العمل الصالح طريق الإنسان للقاء الله عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاجِدْ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

كيف (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ)؟ في الخدمة الإلزامية العسكرية يوجد جندي عثر، جديد في أول يوم ولا يحمل شهادات أبداً، يسمونه جندياً، دخل على الفرقة يوجد قائد للفرقة رتبته: لواء، هل من الممكن أن يحلم هذا الجندي العر أن يقابل اللواء؟ لا يسمحون له بالاقتراب من الغرف المتعلقة باللواء، أين هذا من ذلك؟ إذا سئمت له الفرصة لمقابلة المساعد الأول فهذا جيد - رتب عسكرية - لأنه يوجد بينهم عشرون رتبة تقريباً ليصل إليه، فاللقاء معه صعب.



العمل الصالح هو الذي يبقى

لكن سأروي لكم قصة ليس فقط يقابله وإنما يستضيفه في مكتبه، ويقدم له الشاي بنفسه، هذا الجندي العر كان في الطريق، سيارة مسرعة كادت تضرب ابن هذا اللواء وهو انقضت على الابن وحماه بنفسه، وتلقى الضربة هو وحمى ابنه، سألهم: من هذا؟ قالوا له: هو فلان الفلاني وهو جندي هنا بالقطعة، في اليوم التالي يتصل ويقول: أرسلوه لي، يدخله إلى المكتب، ويقول: تفضل يا ابني ارتح، هل ينقصك شيء؟ ويعطيه إجازة مدة شهر، ويقدم له الشاي، لأنه عمل عملاً صالحاً (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا).

أنت تريد أن تلتقي مع ربنا سنقول: من أنت ومن أنا لتلتقي مع الله؟ لنقف بين يدي الإله العظيم؟ قدم له عملاً صالحاً، اخدم عباده، يقول لك: تعال سأواجهك، نلتقي سوية (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ) حتى في الدنيا يا أحباب، وليس في يوم القيامة، كيف يكون لقاء الله في الدنيا؟ تقف في الليل وتصلي، هذا لقاء الله، وقد قدمت عملاً صالحاً في النهار، ودفعت صدقة لله، فترجو بها لقاء الله.

لذلك عندما قال: يا سعد لا صدقة ولا جهاد فبم تلقى الله؟ كيف ستلقى الله عز وجل إذا لم تقدم شيئاً؟ ماذا ستقول له؟ لذلك: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) بل إنك حتى تنجو من الخسارة المحققة قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)

[سورة العصر]

فلا يمكن أن تنجو من الخسارة التي تحصل بمضي الزمن إلا إن كان لك عمل صالح وينفعك بعد مضي زمن، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

أمران ضروريان في العمل الصالح:

أحبابنا الكرام، شيطان أخيران في العمل الصالح.

الأمر الأول: المسارعة، الوقت ليس في صالحنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِزِهِ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلِ عِزُّهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

[سورة آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَابِقُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21)

[سورة الحديد]

سارع وسابق لأن الوقت ليس في صالحنا، الموت يأتي فجأة، فالإنسان يُسارع إلى عملٍ صالحٍ يلقى به الله عز وجل.
والأمر الثاني أنك إذا عملت عملاً صالحاً كن على رجاءٍ من قبوله وخوفٍ من عدم قبوله، كيف ذلك؟
أنت ترجو إن شاء الله أن يقبله، لكن ماذا قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60)

[سورة المؤمنون]



الخوف من دواعي قبول العمل

(يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أي يخاف ألا يُتقبل عمله، هذا من دواعي قبول العمل، أما الإنسان الواثق من عمله دائماً مطمئن، يُخشى عليه من الرِّياء، ينظر دائماً إلى عمله على أنه دون المطلوب، دائماً ينظر إلى عمله على أنه يخشى ألا يُتقبل منه، لكن يرجو أن يُتقبل منه، بين الرجاء والخوف، هذه الآية لما قرأتها السيدة عائشة رضي الله عنها:
(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ):

{ قالت: يا رسول الله أأهم الناس الذين يزنون ويسرقون وبخافون؟ يؤتون ما آتوا من الحرام وقلوبهم وجلة؟ قال لا يا بنت الصديق، هؤلاء

يتصدقون وبخشون ألا يُقتل منهم }

[صحيح الترمذي]

بالعكس أعمالهم سالحة، لكن الخوف لأنه ينظر إلى عظمة الله، فما الذي قدّمته أمام عظمة الله؟ أمام نعم الله عليّ؟ فيجد أن ما قدّمه قليل ولا يستكثره، هذا أيضاً مهم جداً في العمل الصالح.

نسأل الله عز وجل أن يبارك لكم في الأعمال الصالحة، وينفعنا بما سمعنا.

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي